﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٨٠﴾ [المؤمنون: 80]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

لمّا تضمّنت الآية السابقة ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ ذِكرَ إحيائهم وإماتتهم، صرَّح به في هذه الآية على وجه عام فقال تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾، ثمَّ عطف عليه قدرته على المخالفة بين الليل والنَّهار، فمنْ يوجِدُهما بعد أن يُعْدِمَهما هو القادر على إيجاد الخلق مرَّةً أخرى وإحيائه بعد إفنائه[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

الإحياءُ والإماتةُ وتعاقُبُ اللَّيلِ والنَّهارِ آياتٌ للتَّدبُّرِ والنَّظَر

يخبرُ اللّهُ تعالى أنَّه ﷻ هو الَّذي يُحيي ويميتُ عبادَه على جهةِ الانْفرادِ والاسْتقلال، وفي هذا تذكيرٌ لنعمةِ الحياة، وبيان الانتقالِ منها إلى الدّارِ الآخرة، وهو تعالى الَّذي جعلَ اللَّيلَ والنَّهارَ مختلِفَيْن يتعاقبان ويختلفان في السَّوادِ والبياض، وفي نُقصانِ أحدِهما وزيادةِ الآخَر، وفي تكرُّرِهما يومًا بعد يوم وليلةً بعد ليلة، أفلا تعقلونَ أيُّها العبادُ بالنَّظَرِ والتَّأمُّلِ، وتتفكَّرون في ذلك ودلائلِه على وحدانيَّةِ اللّه، وعظيمِ قدرتِه وجَليلِ حكمتِه[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

مناسبة الوصل بالواو في الآية:

تنوّع نعم الله التي تعمُّ الخلقَ جميعا والدّالة على قدرته العظيمة الباهرة

عبّر بالعطف على طريق الوصل للاشتراك في الجهة الجامعة بين الجملتين، فالآية السابقة ذكرت نعمة الذّرءِ في الأرضِ التي تدلُّ على قدرة اللّه العظيمة وهذه الآية ذكرت نعمة الإحياء والإماتة

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 188، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 4/ 81، والشَّوكاني، فتح القدير: 3/ 672.

واختلاف الليل والنّهار وتواليهما المتضمّنة آثار قدرته الباهرة، وفيه تنوّع في الاستدلال على توحيد الله تعالى وانفرادِه بالعبوديّة، كما أنَّ الجملتين خبريَّتان، فجاء الكلام من عطف الخبر على الخبر.

فائدة التّعبير بالضّمير (هوَ):

التنبيه إلى عظيم قدرة الله على الإنشاء والذرءِ والإعادة يوم البعثِ

لمّا كان الضّمير عائدًا على الله تعالى بما اتّصف به في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ﴾ وقوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡضِ﴾ أفاد في قولِه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أنَّ المتّصف بإنشائكم في الأرضِ وذرئِكم فيها هو ذاتُه الذي يحيي ويميت، ليفيد تعدّدَ النّعم التي أنعم الله بها على النّاس، والاستدلالَ على إمكان البعثِ والحشرِ يوم القيامة.

نكتة إعادة ذكر المسند إليه (هوَ):

مقام الاستدلال على التَّوحيد مقام إطناب وبسط في الكلام

أعاد ذكر المسند إليه (هوَ) كما في الآية السابقة زيادةً في تقريرِ المعنى وإيضاحِه، وللتّنصيص على قصر المسند على المسندِ إليه، وللتّلذّذ بذكره، وللتّنبيه إلى أنَّ إصغاء السّامعِ مطلوبٌ، فجاء الكلامُ على الإطنابِ والبسطِ ولاسيَّما أنَّ المقام مقامُ إنذارٍ وتخويفٍ، وإنكارٍ للشِّرك، واستدلالٍ على توحيدِه وتفرّده بالعبادةِ.

بلاغة القصر:

الذي يحيي ويميت هو الإله الحقُّ

لمّا جاء المسند والمسند إليه معرفتين في قولِه ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحۡىِۦ وَيُمِيتُ﴾ أفاد التّركيب قصر الإحياء والإماتة على الله تعالى، وفيه قصر الإفراد كسابقِه، فإنَّ من يشرك بالله تعالى كان كمن يعتقد قيام الشّريك بالإحياء والإماتةِ، إشعارًا بأنَّ الذي يحيي ويميت هو الإله المعبود بحقٍّ، والمعنى هو وحده الذي يحيي ويميت، ويحتمل أن يكون من قصر القلب والمعنى هو الذي يحيي ويميت لا غيرُهُ.

بلاغة الإدماج في الآية:

لمّا ذكر الحشرَ أعقبه بذكر الإحياء، فأدمج فيه الاستدلال على

إمكانِ البعثِ بالاستدلالِ على عمومِ التصرُّف في العالم بالإحياء والإماتة وتخالف أحوال الليل والنّهار وتعاقبهما[1].

سبب إيثار مجيء المسند اسمًا موصولًا:

أوثر التّعبير بالاسم الموصول في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ للإشعار بأنَّ المخاطبين على علمٍ بانتساب صلة الموصول إلى الله تعالى ولأنَّ الصّلة هي موطنُ العظةِ والاعتبار، كما أنَّ في مجيء الصلة تنبيهًا على تجدّد الإحياء والإماتة كما سيأتي، للإيذانِ بتعدّد نعمه تعالى والاستدلالِ على وحدانيَّته وتفرّده بالعبوديَّة.

إحياء الخلقِ وإماتتُهم من نعم الله تعالى

سرُّ التعبير بالمضارع في قوله ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾:

صيغة المضارع لإفادة الاستمرار بتجدّد إحياء الله للنّاس بنفخ الرّوح فيهم وإماتتهم بعد إحيائِهم وقتًا فوقتًا، ففي صيغة المضارع في الفعلين إيذانٌ بتجدّد معنى الإحياء والإماتةِ وتعاقبهما منذ خلق الله الخلقَ إلى أن تقومَ السّاعةُ، فلم يقل: أحيا وأمات، كما قال ﴿أَنشَأَ لَكُمُ﴾ و﴿ذَرَأَكُمْ﴾ بصيغة الماضي بل جاء على لفظ المضارع، ليدل على أنَّ الإحياء والإماتة عادتُه ﷻ في خلقه[2].

الإحياء والإماتة عادة الله تعالى في خلقِه

توجيه المتشابه اللفظي:

قُدِّمَ الإحياء على الإماتةِ هنا وفي جميع الآيات التي ورد فيها ذكر الحياة والموت إلّا في آيتين، إحداهما في قوله تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: 44]، والثانية في قوله تعالى ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك: 2]، وسبب تقديم الحياة على الموت هو سبقُ الحياةِ الموتَ، فلا يموتُ إلّا من سبقت له الحياةُ، ولأنَّ المنَّة بالحياةِ أظهر وأبينُ، وأمّا آية سورة النّجم فإنَّ المَقْصودَ هوَ العِبْرَةُ بِالإماتَةِ لِأنَّها أوْضَحُ

مناسبة تقديم الإحياء على الإماتة أو عكسهما لما يقتضيه السياق والمقام

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.
(2) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 99.

عِبْرَةً وللرَّدِّ عليهِمْ في قَوْلِهِمْ: ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: 24]، وأنَّ عَطْفَ ﴿وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾﴾ [النجم: 44] تَتْميمٌ واحْتِراسٌ كما في قَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ [الملك: 2]، ولِذَلِكَ قَدَّمَ أماتَ عَلَى أحْيا مَعَ الرِّعايَةِ عَلَى الفاصِلَةِ[1]، وأمّا آية سورة تبارك فإنَّها تتكلَّم في الابتلاء والامتحان، ومعنى الابْتِلاءِ مُشْعِرٌ بِتَرَتُّبِ أثَرٍ لَهُ وهوَ الجَزاءُ عَلَى العَمَلِ فناسب ذكر الموتِ قبل الحياة لتنبيه الإنسانِ وتذكيره بالموتِ قبل استقبال الحياة، ليستقيم في حياته وينجح في ابتلائه، ومن أسباب تقديم الموت على الحياة في آية سورة تبارك أنَّ الموتَ تَصَرُّفٌ في المَوْجودِ القادِرِ الَّذي مِنْ شَأْنِهِ أنْ يَدْفَعَ عَنْ نَفْسِهِ ما يَكْرَهُهُ، والمَوْتُ مَكْروهٌ لِكُلِّ حَيّ، فكانَتِ الإماتَةُ مَظْهَرًا عَظيمًا مِنْ مَظاهِرِ القُدْرَةِ، لِأنَّ فيها تَجَلِّيَ وصْفِ القاهِرِ، فأمّا الإحْياءُ فهوَ مِنْ مَظاهِرِ وصْفِ القادِرِ ولَكِنْ مَعَ وصْفِهِ المُنْعِمِ، فمَعْنَى القُدْرَةِ في الإماتَةِ أظْهَرُ وأقْوَى لِأنَّ القَهْرَ ضَرْبٌ مِنَ القُدْرَةِ[2]، والآية في سياق بيان قدرة الله وعظيم سلطانه.

بديع المقابلة في قوله ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾:

في الإماتة دلالة على عظيم القدرة والقهر

لمّا ذكر الإحياء المناسب للحشرِ ناسبه ذكر الإماتة على سبيل طباق التَّضادِّ، للإيذانِ بكمال القدرة وتفرّده بالأمر، ولِأنَّ في الإماتةِ دَلالَةً عَلَى عَظيمِ القُدْرَةِ والقَهْرِ[3].

بلاغة حذف المفعول في قوله ﴿يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾:

الإحياء والإماتة بيد الله وحده

حُذِفَ المفعولُ لتنزيل الفعل منزلة اللازم وليس لإفادة العموم، فالقصدُ إثبات فعل الإحياء والإماتةِ للّه تعالى من غيرِ تعرّضٍ لذكر المفعول وتخصيصهما به سبحانه، والمعنى من شأنِه تعالى أن يحيي

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 27/ 144.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 29/ 13.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 105.

ويميت أو لا يكون الإحياء والإماتة إلّا من الله تعالى، ومن أغراض الحذف الرّدُّ على من ينكر ذلك بوجهٍ من الوجوه[1].

مناسبة العطف بالواو:

اخـتـلاف الليل والـنّـهـار يومئ إلى سلطان الله تعالى الكامل

لَمّا كانَ مِنَ الإحْياءِ خَلْقُ الإيقاظِ ومِنَ الإماتَةِ خَلْقُ النَّوْمِ كَما قالَ تَعالَى﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: 42] الآيَةَ عُطِفَ عَلَى ذَلِكَ أنَّ بِقُدْرَتِهِ اخْتِلافَ اللَّيْلِ والنَّهارِ فقال ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾، ففي تَصْرِيفِ اللَّيْلِ والنَّهارِ دَلالَةٌ عَلَى عَظِيمِ قدرتِه سبحانه، وانفرادِه بالتَّصرُّف بالخلقِ، كما أنَّ في اختلاف الليل والنّهار نعمةً عظيمةً على الخلقِ، ووجه النّعمة بهما ظاهرٌ معلومٌ، وفي العطف كذلك انتقال من ذات الامتنان بالإحياء والإماتةِ إلى الاستدلال بأمر خارجيٍّ عنه، وهو العالم العلويُّ[2]، وفيه انتقال كذلك من بيان سلطانه سبحانه في الإحياء والإماتة إلى بيان سلطانه على كلِّ الوجودِ، لأنَّ اللَّيل والنَّهار يجيئان من دوران الأرض حول الشَّمس أي من صلة الأرض بالسَّماء وطولهما وقصرهما يتبعان ذلك، فذكر اللَّيل والنَّهار يومئ إلى سلطان الله تعالى الكامل على السَّماء والأرض وما بينهما وعلى الوجود كله[3]، فناسب مجيء الجملة بالعطف لاشتراك الجملتين في الجهة الجامعة وفي مجيئهما خبريَّتين في اللَّفظ والمعنى.

دلالة اللام في قوله ﴿وَلَهُ﴾:

اللّام هنا للملك[4]، بمعنى أنَّه تعالى هو المتصرّف في تدبير الخلقِ ومخالفة اللَّيل للنّهار وتعاقبهما، والقادر على ذلك قادر على غيره من الإحياء والإماتة والنَّشر والحساب.

(1) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 154 - 155.
(2) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 213.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5105.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 106.

نكتة التّعبير بلفظ ﴿ٱخۡتِلَٰفُ﴾:

الاختلاف بمعنى الخلفة والمغايرة والتّفاوت، فيعم عموم معانيه

يحتمل أن يكون الاختلاف بمعنى الخِلفَةِ، أي مرور النّهار بعد الليل والليل بعد النّهار، بمعنى تعاقبهما بأن يجيء أحدهما عقب الآخر، كما يقال إذا أتى الرجل المكرام مرة بعد مرة هو يختلف إلى هذه الدّار[1]، ويحتمل أن يكون بمعنى المغايرة البيّنة، أي اختلافهما في الظلمة والنور، ويحتمل أن يكون بمعنى تخالفهما وتفاوتهما بالزيادة والنقصان، أي بانتقاص أحدهما وازدياد الآخر، ولا مانع من إرادة المعاني كلِّها، فيكون اللفظ على عموم معنى الاختلاف، أي هو تعالى الفاعل ذلك بهما لا غيرُه[2].

بلاغة تقديم المسند على المسند إليه:

اختلاف الليل والنّهار مختصٌّ به تعالى، فله وحده التصرّفُ فيهما

لمّا تقدَّم المسند على المسند إليه في قوله ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ أفاد ذلك الاختصاص، ولمّا كانت اللّام للملكِ كما تقدَّم أفاد أنَّ اختلاف الليل والنّهار مختصٌّ به تعالى وهو متولّيه، ولا يقدر على تصريفِهما غيرُه، فهو الملك الواحد الأحد في الخلق والتصرّف، كما قال تعالى ﴿أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ﴾ [الأعراف: 54][3].

دلالة الإضافة والعطف:

عطفُ النّهار على الليلِ دليلٌ على تلازمهما في الاختلاف

الإضافة في قولِه ﴿ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ على معنى الملابسة، بمعنى ملابسة الاختلاف للّيل والنّهار، ولو كُرِّرَ المضاف، فقال: وله اختلاف الليل واختلاف النّهار، لما أفاد تخالفهما ولا تعاقبهما، ولكان اختلاف الليل ليس له علاقة بالنّهار، فلمّا عطف النّهار على الليل دلَّ على تلازمهما في الاختلاف على معنى التعاقب والتّباين

(1) ابن فورك، تفسير ابن فورك: 1/ 90.

(2) أبو حفص النسفي، التيسير في التفسير: 11/ 56، وابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 153، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 12/ 144، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، والنسفي، مدارك التنزيل: 2/ 477.

(3) الزمخشري، الكشاف: 3/ 199، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 93، والقونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 211.

في الظلمة والنّور والتّفاوت في الزيادة والنّقصان، وكلُّ هذا بخلقِ اللّه تعالى وبأمرِه.

دلالة التّركيب بين الحقيقة والمجاز:

في قوله ﴿وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾ يحتمل أن يكون الكلامُ على الحقيقة في التّعبير بلفظ الاختلاف، فيكون المراد اختصاص ما يظهر من اختلاف الليل والنّهار باللّه تعالى وحده، ويحتمل أن يكون على طريق المجاز المرسل بمعنى أنَّ له أسباب اختلاف الليل والنّهار من حركات الكواكب ودوران الأفلاكِ، فيكون من إطلاق المسبَّب وإرادةِ السّبب[1]، ولا مانع من الجمع بين الحقيقة والمجاز، فيكون المعنى أعمَّ وأشملَ وهو الظّاهر من المقام الدّال على الامتنان والاستدلال على وحدانيَّة اللّه وأنَّه ليس من شيءٍ من الكواكبِ له تأثير في اختلاف الليل والنّهار على الحقيقة، وإن كانت النّسبة إلى الشّمس والكواكب في اختلافِهما على طريق المجاز صحيحةً[2].

ليس شيءٌ من الكواكبِ له تأثير في اختلاف الليل والنّهار على الحقيقة

بديع المقابلة في قوله ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾:

جاء الطباق بين ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾، ومناسبته أنَّه لمّا ذكر الإحياء ناسبه ذكر النّهار، فالنَّهارُ يُناسِبُ الحَياةَ ولِذَلِكَ يُسَمَّى الهُبوبُ في النَّهارِ بَعْثًا، ولمّا ذكر الإماتة ناسبه ذكر الليل، فاللَّيْلُ يُناسِبُ المَوْتَ، ولِذَلِكَ سَمَّى اللّهُ النَّوْمَ وفاةً في قَوْلِهِ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ﴾ [الأنعام: 60][3].

من بديع بلاغة القرآن مناسباتُ مقابلة الألفاظ في القرآن

سبب تقديم ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ على ﴿وَٱلنَّهَارِۚ﴾:

قُدِّم ﴿ٱلَّيۡلِ﴾ على ﴿وَٱلنَّهَارِۚ﴾ على ما هو عادة القرآن عند ذكر الليل والنّهار إذا اجتمعا بطريق عطف أحدهما على الآخر، والسّبب هو أنَّ الظّلمة أسبق وجودًا من الضّياء، إذ في الأزل لم يكن نهارٌ ولا

من عادة القرآن تقديم الليل على النّهار إذا اجتمعا بطريق العطف

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 18.
(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 212.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 106.

ضياءً، فقُدِّم الأسبق في الوجودِ، ومنه كذلك تقديم الظّلمات على النّور، فهو على وزانِه.

دلالة أل في قوله ﴿ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ﴾:

(أل) في اللفظين جنسيَّة، بمعنى إرادة جنس الليل وجنس النّهار، وليس خصوص ليل معيّن أو نهارٍ معيَّن، فيجري فيهما معنى العموم، لشمل اللفظين كلَّ ليلٍ وكلَّ نهارٍ يجري في هذا الكونِ.

بلاغة الاستفهام المجازي:

الحثُّ على إعمال العقل بالنّظر في نعم الله ومظاهر الكون

الاستفهام في قوله ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ مجازيٌّ؛ لأنَّه على معنى الإنكار، لصدورِه عن الله تعالى ولدلالة المقامِ، والمعنى أنَّه تعالى ينكر عليهم عدم تفكّرهم في ما هو واقع تحت علمِهم وبصرِهم، ويلزم من الإنكار النّفي، والمعنى أنَّكم تعلمون أنَّ الله تعالى يحيي ويميت وأنَّ له اختلاف الليل والنّهار، فلا تتفكّرون تفكّر العقلاء، فتهتدوا وتستقيموا[1]، ويتولَّد عن الاستفهام الإنكاري معنى التّحذير والزّجرِ والتّوبيخ والتّهديد من تركِ النّظر في نعم الله ومظاهر الكونِ[2]، كما يتولَّد من الإنكارِ كذلك الحثُّ والتّرغيب في إعمال العقلِ، فإنَّ الإنكار على عدم إعمال العقل يفيد ضدَّه وهو التّرغيب في إعمالِه والإفادة منه.

فائدة الفاء في قوله ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾:

من لم ينتفع بالأدلَّة مع ظهورِها ووضوحِها فهو بمنزلة غير العقلاء

الفاء للتّعقيب والتّرتيب، لتفيد تعقيب الإنكار على عدم تفكّرهم وتأمّلهم بعد ظهور نعم الله وآلائِه والدّلائل على وحدانيَّة الله تعالى، فيكون الاستفهام الإنكاري مفرّعًا على الأدلّة الأربعة التي تضمّنتها الآياتُ الثلاث، وهي إنشاء السّمع والأبصار والأفئدة والذّرء في الأرض والإحياء والإماتة واختلاف الليل والنّهار، للإيذانِ بأنَّ

(1) المطعني، التفسير البلاغي للاستفهام: 3/ 17.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 289، والنيسابوري، غرائب القرآن: 5/ 130.

المخاطبين لم يهتدوا بهذه الأدلَّة ولم ينتفعوا بها مع ظهورِها، فأنكر عليهم، وجُعلوا بمنزلة غير العقلاء[1].

نكتة التّعبير بلفظ ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

لمّا كان أمر الإحياء والإماتة واختلاف الليل والنّهار في كونِها من نعم الله الظّاهرة، وكونها دليلًا على وحدانيَّته بيّنا واضحًا، وأنَّها لا تحتاج سوى النَّظر والتَّأمل، عبّر بلفظ ﴿تَعْقِلُونَ﴾ دون غيرِه إشعارًا بأنَّ ما ذُكِرَ من النّعم والآيات إنّما ينتفع بها من يتأمّل فيها ويعقلها، ولمّا نفى عنهم العقل أفادَ أنَّ العبرة في وجود العقل هو الانتفاع منه.

من لم ينتفع بعقلِه فلا عقلَ له

نكتة التّعبير بالمضارع ﴿تَعْقِلُونَ﴾:

لمّا كان الاستفهام على معنى الإنكار المفيد لنفي العقل عنهم وكان التّعبير بصيغة المضارع في قولِه ﴿تَعْقِلُونَ﴾؛ أفاد أنَّهم مستمرّون على عدم إعمالِ عقولهم وأنَّ الأمر يتجدّد حالًا فحالًا مع ظهور النّعم والأدلَّة واستمرارِها وتجدّدها وقتًا فوقتًا، فهم يرون هذه الأدلة والنِّعم ويشاهدونها في كلِّ وقت وفي كلِّ مكان بما يدل على وحدانيَّة الله تعالى، ومع ذلك كلِّه لا ينتفعون ولا يتدبرون، فناسب التَّعبير بالمضارع لإفادة هذا المعنى.

جحود الكافرين مع استمرار الأدلَّة والبراهين على توحيد الله تعالى

دلالة حذف المفعول:

حُذِفَ المفعولُ في قوله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ لإفادة عموم المتعلَّق ممّا هو مناسب للسّياق والمقام، فلم ينزّل الفعل منزلة اللازم[2]، والتّقدير: (أفلا تعقلون أنَّ الكلَّ منّا، وأنَّ هذه النّعم دليلُ وحدانيَّة الله تعالى، وأنَّ اختلافَ الليل والنّهار دليل حدوثهما، وأنَّ لهما محدثًا لا شريك له عالمًا قادرًا مريدًا، وأنَّهُ لا يَجوزُ أنْ يَكونَ لَهُ شَريكٌ مِنْ خَلْقِهِ، وأنَّهُ

توبيخ الكافرين على عدم انتفاعِهم ممّا هو ظاهرٌ أمامَ أعينِهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 106.

(2) القونويّ، حاشيته على تفسير البيضاوي: 13/ 212.

قادِرٌ عَلَى البَعْثِ كما أنَّه قادرٌ على جميع الممكنات، والمراد أنَّكم لا تعقلون أيَّ شيءٍ ممّا هو ظاهرٌ أمامَ أعينكم ولا تتدبّرونه).

براعة التّذييل في جملة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾:

هذه الجملة على معنى العموم، فتكون جملة تذييليَّةً للأدلَّة الأربعة المذكورة في الآياتِ الثلاث الأخيرة، فإنَّ حقَّ الخطاب أن يكون مع مخاطبٍ معيّن، لكنَّه قصد به هنا غير المعيَّن، ويدخل فيه المشركون المخاطبون وقت التّنزيل دخولًا أوّليًّا، وجاء بصيغة الخطاب مع أنَّه على معنى العموم قصدًا إلى دخولِ كلِّ مخاطبٍ لا ينتفع بالأدلَّة الظّاهرة ولاسيّما هذه الأدلَّة الأربعة، والمعنى: الإنكار على كلِّ إنسانٍ لا يهتدي بهذه الأدلَّة بتنزيله منزلة المخاطب غير العاقل.

الإنكارُ على من لا يهتدي بالأدلَّة الظّاهرة بتنزيله منزلة المخاطب غير العاقل

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الموت والقتل:

الفرق بينهما هو أنَّ القتل نَقْض للبِنْية الحيوانيَّة يتبعه إزهاق للروح، ولا يُقال لَهُ قتل في أكثر الحال إلّا إذا كانَ من فعل آدَميّ، وقال بعضهم القتل إماتة الحركة، ومنه يقال ناقةٌ مُقَتَّلَةٌ إذا كثر عليها الإتعاب حتى تموت حركتها، أمّا الموت فتخرج الروح أولاً دون نَقْض للبنية، فالمَوت ينافي الحياة مَعَ سَلامَة البنية ولا بُد في القَتْل من انْتِقاض البنية، والخلاصة أنَّه إذا اعْتبر بِفعل المُتَولي لذَلِك يُقال له قتل، وإذا اعْتبر بفوت الحَياة يُقال له موت[1].

القتل نَقْض للبِنْية الحيوانيَّة يتبعه إزهاق للروح، والموت فوت الحياة دون نقض للبنية

(1) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 104، والكفوي، الكليات، ص: 729.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 36 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 36 : المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-78-5
*
إذن طباعة رقم:MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»